الإسلام والغرب بين الصدام والحوار

د. فوزية عمار عطية(*)

العرب والمسلمون من جهة والغرب من جهة ثانية جيران منذ القدم يجمعهم البحر المتوسط ومنذ القدم كان هناك حالة من المد والجزر والحرب والسلم بينهما.

فى هذا الموضوع أتناول علاقة الإسلام بالغرب، وسأبدأ بوجهة النظر التى ترى أن علاقة الإسلام بالغرب علاقة صراع وبالتالى الدعوة إلى صدام الحضارات، ثم وجهة النظر الثانية التى ترى أن العلاقة بين الإسلام والغرب علاقة حوار والدعوة إلى حوار الحضارات. ثم أتناول وجهة نظر العرب فى إشكاليـــة الإسلام والغرب، وأخيرًا العلاقة بين الإسلام والغرب.

أولا: الإسلام والغرب وصدام الحضارات:

١- نهاية التاريخ أم بداية انهيار الحضارة الغربية؟

بعد انهيار الاتحاد السوفيتى وبداية عالم ما بعد الحرب الباردة، بدأ المفكرون فى البحث عن مصير الحضارة الغربية، فأشار بول كيندى فى كتابه: "قيام وانهيار القوى العظمى" إلى احتمال تخلى القوة الأمريكية عن تفردها بعد سقوط عصر القطبية الثنائية المتمثلـــة فى الولايـــات المتحـــدة

(*) أستاذ الفلسفة بكلية الآداب - جامعة الفاتح - الجماهيرية العظمى.

وروسيا، ويرى كنيدى أن قوة الولايات المتحدة العالمية تتراجع نسبيا ويطالب بأن تتجنب التوسع الإمبريالى الذى يفوق إمكانياتها وقدرتها الفعلية، وعليها أن تصل إلى حل للمعضلة المتمثلة فى أن مجموع المصالح والالتزامات الأمريكية القائمة أكبر بكثير من قوتها وقدرتها على الدفاع عنها جميعاً فى آن واحد.

وعلى عكس بول كيندى يؤكد فرنسيس فوكوياما فى كتابه "نهاية التاريخ، وآخر إنسان" أن الديمقراطية الغربية قد انتصرت وانتصر الغربيون معها، ولن يعود أمام الأمريكيين والأوربيين ما ينتظرونه من جديد، لقد حدث هذا الجديد بانهيار الماركسية وتفكك الاتحاد السوفيتى. هذا الانتصار الكاسح فى رأى فوكوياما قد أغلق باب التاريخ، فلا جديد بعد اليوم إلا فى حدود بعض الإصلاحات لكن لن يتعدى هذا ليصبح حدثا تاريخيا. إن نهاية الحرب الباردة عند فرنسيس فوكوياما تعنى نهاية الصراع فى السياسة العالمية وانبثاق عالم واحد منسجم ومتناغم نسبيا.

فى عام ١٩٩٢ نشر صموئيل هانتيجتون رجل الأمن القومى الأمريكى مقالة بعنوان "صدام الحضارات" توجهت المقالة إلى الأمريكيين وهدفت إلى تقديم مقولة عن المرحلة الجديدة على صعيد السياسة العالمية بعد انتهاء الحرب الباردة، وقد طور هانتيجتون هذه المقالة فى كتاب عام ١٩٩٦ بعنوان "صدام الحضارات وإعادة بناء النظام العالمى الجديد" ينتهى إلى القول بأن الصراع السابق كان صراعًا بين أطراف غربية – أى داخل الحضارة الغربية – حان وقت سيطرة هذه الحضارة على العالم وستبدأ هذه الصدامات عند خطوط التماس وفى مناطق التداخل بين الحضارات.

وفى رأيى أن هانتيجتون حاول أن يوفق بين وجهة نظر بول كيندى وفرنسيس فوكوياما كما سيتم توضيحه.

وإذا كان فوكوياما يرى أن الصراع قد انتهى والتاريخ قد أغلق بابه، فإن هانتيجتون على العكس تمامًا يرى أن التاريخ ينتهى مرة على الأقل وأحيانًا أكثر فى تاريخ الحضارة، عندما تنبثق دولة الحضارة، شعبها سيصبح محميًا بالذى يسميه توينبى "وهم الخلود" ويعتقدون أن حضارتهم هى الشكل النهائى للمجتمع الإنسانى"[١] فالصراع فى رأيه لم ينته بل سينجم عنه صراع آخر وهو ما يسميه "صدام الحضارات"، ثم نراه يتفق مع بول كيندى فى القول بأننا نشهد نهاية العصر التقدمى الذى هيمنت عليه الأيديولوجيات الغربية[٢] و"أن عصر الهيمنة الغربية سوف يأتى إلى نهايته، وفى نفس الوقت سيشهد العالم صعود مراكز قوى أخرى وانبعاث ثقافات غير غربية"[٣].

ما يقلق هانتيجتون هو النافر[٤] بين جهود الغرب لتكريس عالمية الثقافة الغربية وخاصة أمريكا، وبين قدراتها المنهارة لعمل ذلك حيث إن هذا الانهيار عزز وجهة نظر الغرب بأن أيديولوجية الديمقراطية الإمبريالية حققت انتصارًا عالميًا، ولهذا يعتقد الغرب وخاصة الولايات المتحدة بأن الشعوب غير الغربية عليها أن تلتزم بقيم الديمقراطية الغربية، السوق الحرة، حقوق الإنسان الفردية، وحكم القانون ... إلخ، المواقف فى الثقافات غير الغربية تتراوح من الشك إلى المعارضة الشديدة.

---

(١) صموئيل هانتيجتون، صدام الحضارات وإعادة بناء النظام العالمي، ترجمة د. مالك أبو شهيوة، ود. محمود محمد خلف (الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع، مصراتة، ١٩٩٩)، ص٥٠٤.

(٢) نفس المصدر السابق، ص١٩٠.

(٣) نفس المصدر السابق، نفس الصفحة.

(٤) نفس المصدر السابق، ص٣٣٤.

ومع ذلك ففى رأيه أن الغرب الآن وسيبقى لسنوات قادمة الحضارة الأكثر قوة، غير أن قُوته النسبية فى مواجهة الحضارات الأخرى آخذة فى الهبوط.

إذًا المشكلة فى رأى هانتيجتون هى أن الغربيين يرون أن حضارتهم فى هيمنة غير متوازنة، بينما فى نفس الوقت المجتمعات الأضعف، الآسيوية والمجتمعات الأخرى، بدأت تكسب القوة، والآن قد تم اكتشاف الوهم – حسب تعبيره – [١] الذى أصاب المجتمعات الغربية وشعورهم بالتعافى بعد انهيار الشيوعية. فالعالم أصبح فى مطلع التسعينات عالمًا مختلفًا ولكن ليس بالضرورة أكثر أمنًا. وعليه فهو يحذر[٢] الغربيين من الاعتقاد بأن الغرب قد فاز بالعالم لكل الوقت، وأن بقية العالم سيهرع لاحتضان الليبرالية على أنها الخيار الوحيد.

ما يريد هانتيجتون قوله أنه إلى جانب الصورة المتفائلة التى طرحها فوكوياما للغرب وهى الهيمنة والتفوق والانتصار الشامل غالبًا للغرب، فهناك صورة أخرى للغرب مختلفة جدا أنها حضارة فى حالة اضمحلال، نصيبها من القوة العالمية السياسية والاقتصادية والعسكرية آخذة فى الهبوط بالقياس إلى قوة الحضارات الأخرى ... الانتصار فى الحرب الباردة لم ينتج فوزًا بل إنهاكًا[٣].

٢- عالم من مجموعة حضارات:

إن عالم ما بعد الحرب الباردة عالم مكون من سبع أو ثمان حضارات[٤]، حسب تعبير هانتيجتون. ثم يقول فى عالم ما بعد الحرب

(١) نفس المصدر السابق، ص ٨٠.
(٢) نفس امصدر السابق، ص ٨٥.
(٣) نفس المصدر السابق ونفس الصفحة
(٤) نفس المصدر السابق، ص ١٦٨.

الباردة، فإن أكثر الاختلافات أهمية بين الشعوب ليست أيديولوجية ولا سياسية أو اقتصادية، إنها ثقافية أو تراثية[١].

أما عن مفهوم الحضارة والثقافة فهما فى الغالب يقصد بهما معنى واحدًا، وما الحضارة إلا ثقافة كتبت بحروف كبيرة[٢] حسب تعبيره، كلاهما يتضمنان "القيم" والمبادئ والمؤسسات وأنماط التفكير والتى تعطى لها الأجيال المتعاقبة فى مجتمع ما أهمية أولية. ثم يوسع من مفهومه للحضارة فيرى أن الحضارة تشمل اللغة والتاريخ والديانة والعادات والمؤسسات والتعريف بالكيان الذاتى للشعب[٣] فأكثر الصراعات انتشارًا ستكون بين شعوب تنتمى إلى هويات ثقافية وليست بين طبقات اجتماعية أو جماعات محددة على أسس اقتصادية.

وعليه ففى حين أن أطروحة نهاية التاريخ تعلى من شأن الصراع الأيديولوجى بينما النظام العالمى الجديد فى جوهره صراع عسكرى وسياسى بالأساس، والعولمة فى حقيقتها صراع اقتصادى ثقافى بالدرجة الأولى، فإن أطروحة صدام الحضارات تركز على الصراع الحضارى، فهذه الرؤى الفكرية المتعددة والتى ظهرت متواكبة فى توقيت واحد مع بداية التسعينات وبعد حرب الخليج الثانية كلها تسعى إلى هدف واحد وهو تكريس الهيمنة الغربية على دول الجنوب والشرق بشكل عام، وعلى الدول الإسلامية بشكل خاص.

---

(١) نفس المصدر السابق، ص٧٥.
(٢) نفس المصدر السابق، ص١٠٣.
(٣) نفس المصدر السابق، ص١٠٥.

ما دور العامل الثقافى فى الصراع؟

يرجح هانتيجتون إلى المقولة اليونانية القديمة: اعرف نفسك بنفسك، فيقول إن الشعوب والدول تحاول الآن الإجابة على أهم الأسئلة التى يمكن أن تواجهها البشرية؛ من نحن[١]؟ وإجابة هانتيجتون على هذا السؤال: إننا نعرف من نحن عندما نعرف الآخر، ومعرفتنا لأنفسنا أو للآخر تكون عن طريق معرفة النسب، العرق، الديانة، اللغة، التاريخ، القيم، العادات والمؤسسات.

وعلى الرغم من أن هانتيجتون يركز على الجانب الثقافى أو الحضارى، إلا أنه لا يتجاهل دور العامل الاقتصادى والعسكرى والسياسى فى العالم. فالعامل الاقتصادى والعسكرى والسياسى له دور فى ازدهار حضارة ما. فالزيادة فى القوة الاقتصادية[٢] والعسكرية فى رأيه ينتج ثقة فى النفس واعتقادًا بأفضلية وتفوق تلك الثقافة على الثقافات الأخرى. فى حين أن التدهور فى القوة الاقتصادية والعسكرية يؤدى إلى الشك فى الذات وأزمة الهوية. ومع ذلك فإن الثقافة غالبًا ما تتبع القوة، حيث إن توزيع الثقافات فى العالم يعكس توزيع القوة. إن أى حضارة عالمية تتطلب قوة عالمية[٣]. وإن التشدد الثقافى يتبع النجاح المادى. فالقوة الجافة تتبعها قوة لينة[٤].

ونرجع مرة أخرى للمعضلة التى شغلت بال هانتيجتون، وهى الاضمحلال فى قوة الغرب، والرغبة فى فرض القيم الغربية حول حقـوق

---

(١) نفس المصدر السابق، ص٧٣.
(٢) نفس المصدر السابق، ص٨٤.
(٣) نفس المصدر السابق، ص٢٠٦.
(٤) نفس المصدر السابق، ص٢١٤.

الإنسان، والليبرالية، والديمقراطية الغربية على الحضارات الأخرى، وطالما أن الحضارة العالمية تتطلب قوة عالمية فالمجتمعات غير العربية تواجه اختبارًا، فالبعض يحاول أن يمارس الغرب وينساق إلى الانحياز إليه، فى حين أن المجتمعات الكونفوشيوسية والإسلامية – وهى التى تقلق هانتيجتون – تحاول أن توسع قوتها الاقتصادية والعسكرية حتى تقاوم وتعمل على "توازن" ضد الغرب، وهى ما يسميها هانتيجتون بالحضارات المتحدية.

فالعالمية الغربية فى رأى هانتيجتون خطيرة على العالم وعلى الغرب فى آن واحد. فهى خطيرة على العالم لأنها يمكن أن تقود إلى حرب حضارية متبادلة كبرى بين الدول الأساسية، وهى خطيرة على الغرب لأنها ستؤدى إلى هزيمة الغرب أمـــام المجتمعات الأخرى التى بدأت تكسب القوة[١] فكلما اضمحل نفوذ الغرب، فإن القيادات المتطلعة الشابة لا تستطيع أن تتطلع إلى الغرب ليزودها بالقوة والثروة، بل عليها أن تبحث عن وسائل النجاح بداخل مجتمعها نفسه، وعليه يتعين عليها أن تتكيف مع قيم وثقافة ذلك المجتمع[٢] وهذا يذكرنا بفكرة توينبى فى كتابه "دراسة التاريخ" وتفسيره الخاص لطبيعة السقوط الحضارى حيث أرجعه إلى ضعف القوة الخلاقة فى الأقلية وتخلى الأكثرية عن موالاة الأقلية وكفها عن محاكاتها.

---

(١) نفس المصدر السابق، ص٢١٦.
(٢) نفس المصدر السابق، ص١٨٥.

٣- الحاجة إلى عدو يولد الصدام:

يرجع هانتيجتون إلى ما قال به السوفسطائيون وهوبز من قبل، إلى أن الطبيعة الإنسانية شريرة وليست خيرة، فالذى يحكم العلاقات بين الأفراد هو الكراهية من أجل التحديد بالهوية، وأن البشر فى حاجة إلى أعداء[١]، وإذا كانت النزعة العدوانية من الإنسان لأخيه الإنسان عند إيمانويل كانت[٢] هى التى جعلت الإنسانية تنتقل من طور البداوة إلى الحضارة فإنها عند هانتيجتون هى السبب فى الصدام بين الحضارات لأن النزعة العدائية هى التى أزالت الثقة بين الأفراد، وبالتالى سيتوقع البشر أخطارًا من أولئك الذين يختلفون عنهم ولديهم القدرة علىالضرر بهم. إن اختفاء عدد من الأعداء، يفسح المجال لظهور آخرين[٣].

والصراع والنزاع فى رأيه ليس قاصرًا على جهة ما دون الأخرى فالعالم فوضوى حافل بالنزاعات القبلية والقومية ولكن الصراعات أو النزاعات التى تكون أخطارا عظيمة على الاستقرار هى تلك التى تقع بين الدول أو الجماعات من حضارات مختلفة. أما الثقة والصداقة فى عالم الحضارات بين كيانات من حضارات مختلفة فستكون نادرة.

والواقع أن هذه الفكرة غير صحيحة فصراع الحضارات كلمتان متوازيتان لا تجتمعان أبدًا ومنطقيًا كلمة صراع أو صدام فى مجال الحضارات نقض للحضارة فى ذاتها، فإن تكن حضارة حقة فهى مترفعة حتما عن هذا كله أو ما كانت أصلا.

---

(١) نفس المصدر السابق، ص٢٤٥.
(٢) كانت، مشروع للسلام الدائم، ترجمة د. عثمان امين (مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٥٢)، ص١٢.
(٣) هانتيجون، مصدر سابق، ص٩٣.

أيضًا أن الاختلاف الثقافى ليس سببًا للنزاع بين الدول لكن من الممكن استغلاله لتأجيج نزاع محتدم لأسباب غير ثقافية بل اقتصادية أو سياسية فى معظم الأحيان، الغرب بعد انهيار الاتحاد السوفيتى أصبح يبحث عن عدو لإشباع حاجته الطبيعية الشريرة لأن الغرب يريد الهيمنة وفرض ثقافته على الآخر بالقوة، غير أن الغرب بدأ يفقد قوته، وأصبح يواجه تحديات خارجية من بعض الحضارات وهى ما يسميها بالحضارات المتحدية.

٤- الإسلام هو العدو المرتقب من وجهة نظر الغرب:

يوجه هانتيجتون هجومه تجاه الإسلام[١] لأن الديمقراطية الليبرالية لم تنجح فى أن تثبت وجودها فى المجتمعات الإسلامية لمدة قرن من الزمن، ومصدر هذا الفشل فى رأيه راجع إلى الثقافة الإسلامية والمجتمع الإسلامى الرافض للأفكار الغربية الليبرالية.

وإذا كان هيراقليطس يرى أن الصراع أصل الأشياء، فإن هانتيجتون يرى أن الاختلاف هو مصدر الصراع، لأن فى الصراعات الحضارية الشقيق يقف مع الشقيق[٢].

وعلى الرغم من أن هانتيجتون يؤكد على أهمية معرفة الآخر لفهم الأنا يعنى معرفة ديانة وتاريخ ولغة وعادات وتقاليد الآخر لكى نجيب على السؤال من نحن؟ فهو يشن هجومه على الإسلام والمسلمين بدون أن تكون لديه معرفة حقيقية عن الدين الإسلامى وتاريخ الإسلام فأصل العلاقات بين المسلمين وغيرهم هو السلام لا الحرب. فالسلام أحد أسماء الله تعالى

(١) نفس المصدر السابق، ص٢٢٣.

(٢) نفس المصدر السابق، ص٢٨٢.

الحسنى ﴿الملك القدوس السلام﴾ [الحشر ٢٣/٥٩]، ﴿والله يدعو إلى دار السلام﴾ [يونس ٢٥/١٦] والمسلمون مدعوون للدخول فى السلم كلما تحققت شروطه.

كما يتجاهل هانتيجتون دور الإسلام لا سيما فى الأندلس فى بناء أوربا النهضوية، ويتهم الإسلام بأنه الحضارة التى وضعت استمرار الغرب فى شك، وقد فعلت ذلك فى رأيه مرتين على الأقل. بل ويضيف بأن العلاقات بين الإسلام والمسيحية كانت غالبًا عاصفة[١].

ويرى هانتيجتون أن الإسلام يمثل مصدر عدم استقرار فى العالم ويختلق مجموعة من الأسباب وهى:

١- فى رأيه أن الإسلام منذ البداية كان دين السيف[٢] وأنه انتشر بالسيف، وأن القرآن والحديث فى رأيه لا يحتويان إلا على قليل من الحظر على العنف ومفهوم اللاعنف غائب من العقيدة والممارسة عند المسلمين.

٢- الإحياء الإسلامى[٣] أيضًا فى رأيه أعطى للمسلمين إعادة الثقة فى أهمية حضارتهم وقيمهم مقارنة بتلك التى فى القرآن.

٣- الإسلام فى رأيه إيمان مطلق ويدمج بين الدين والسياسة[٤] على خلاف المفهوم الغربى المسيحى الذى يفصل الدين عن السياسة.

٤- كل من الإسلام والمسيحية يؤمن بالله الواحد وفى ذلك يختلفان عن الأديان الأخرى التى تشرك بالله، كل منهما يرى العالم بطريقة مزدوجة نحن وهم، كل منهما عالميا[٥].

---

(١) نفس المصدر السابق، ص٣٧٠.
(٢) نفس المصدر السابق، ص٤٤٩.
(٣) نفس المصدر السابق، ص٣٧٣.
(٤) نفس المصدر السابق، ص٤٥١.
(٥) نفس المصدر السابق، ص٣٧٢.

٥- الإسلام يعتبر كمصدر عدم استقرار فى العالم لأنه فى رأيه يفتقد إلى مركز مسيطر أو مهيمن.

٦- فشل جهود الغرب[١] فى جعل قيمهم ومؤسساتهم عالمية والمحافظة على تفوقهم العسكرى والتدخل فى صراعات العالم الإسلامى خلفت ازدراء شديدا بين المسلمين.

٧- انهيار الشيوعية حولت العدو المشترك للغرب والإسلام وترك كل واحد يرى الآخر مصدر تهديد له[٢].

٨-الاتصال المتزايد بين المسلمين والغربيين[٣] ولَّد فى كل واحد منهما شعورًا جديدًا بهويتهم وكيف أن هذه الهوية مختلفة عن الآخر.

٩- المسلمون يرون الثقافة الغربية ثقافة مادية، فاسدة[٤] ولا أخلاقية وينظرون إليها بأنها مغريـــة، لذلك يؤكدون مقاومة تأثيرها على طريقة حياتهم.

١٠- النمو السكانى فى الدول الإسلامية[٥] فى رأيه يهدد الحكومات الإسلامية وغير الإسلامية، حيث إنه يغذى مناصرين للأصولية، والإرهاب، والإحياء، وأيضًا زيادة السكان تحتاج إلى موارد أكبر وبالتالى تعتبر عامل ضغط على الشعوب الأخرى الأقل[٦] حركة سكانية، فالضغط السكانى مصحوبًا بالركود الاقتصادى يعزز هجرة المسلمين إلى المجتمعات الغربية وغير الغربية مصعدًا الهجرة كقضية فى تلك المجتمعات.

---

(١) نفس المصدر السابق، ص٣٧٣.
(٢) نفس المصدر السابق، نفس الصفحة.
(٣) نفس المصدر السابق، نفس الصفحة.
(٤) نفس المصدر السابق، ص٣٧٦.
(٥) نفس المصدر السابق، ص٢٠٤.
(٦) نفس المصدر السابق، ص٣٣٧.

كيف يواجه الغرب الإسلام:

لمواجهة الإسلام يضع هانتيجتون مجموعة حلول يراها تحول دون تحدى الإسلام وهى:

١- تعميق وتعزيز السياسة الغربية[١] والمؤسسات وذلك بالضغط على المجتمعات الأخرى ومن بينها الإسلام لحملها على احترام حقوق الإنسان كما هو مفهوم فى الغرب وتبنى الديمقراطية الغربية.

٢- المحافظة على تفوق الغرب العسكرى[٢] من خلال سياسات عدم انتشار الأسلحة النووية ومواجهة الانتشار بالنظر إلى الأسلحة البيولوجية والكيميائية ووسائل حملها.

٣- حماية الوحدة الثقافية والاجتماعية للمجتمعات[٣] الغربية وذلك لمنع قبول غير الغربيين كمهاجرين أو لاجئين فى كل هذه المناطق الغربية.

إلى جانب الحضارات المتحدية التى يعتبرها هانتيجتون مصدر خطر على الحضارة الغربية وتسبب فى ضعفها واضمحلالها، فالغرب يواجه تحديات أخرى داخلية أى من الحضارة الغربية نفسها ومنها:

١- إضعاف الجانب الدينى لدى الأوروبيين يهدد على المدى الطويل الحضارة الغربية[٤].

٢- سياسة الولايات المتحدة ودعوتها إلى التعدد الثقافى معناه افتقادها إلى الثقافة الأساسية [٥]، وبالتالى ففى رأيه أن الولايات المتحدة

---

(١) نفس المصدر السابق، ص٣٣٧.
(٢) نفس المصدر السابق، ص٣٣٧.
(٣) نفس المصدر السابق، ص٣٣٧.
(٤) نفس المصدر السابق، ص٣٣٧.
(٥) نفس المصدر السابق، ص٥١١.

لا تستطيع الاستمرار كمجتمع متماسك ومتحدة وهى ذات ثقافات متعددة، وتخلى الولايات المتحدة عن غربيتها معناه نهاية الحضارة الغربية، لأن الغرب بدون الولايات المتحدة يصبح صغيرا جدا.

لكن هل معنى ذلك أن الحضارة الغربية ستنتهى أم بالإمكان إنقاذها من الانحدار؟ ويرجع هانتيجتون إلى حل توينبى فى مصير الحضارة الغربية، فيرى أن هناك وسيلة لإنقاذ هذه الحضارة إذا دخل الغرب فى فترة إعادة إحياء تعاكس[١] انهيار تأثيره فى العالم، وتؤكد موقعه كقائد تتبعه وتقلده الحضارات الأخرى.

ولكنه لم يفصح عن الكيفية التى يتم بها عملية الإحياء وكأنه يرى أن ذلك غير ممكن لأنه يرى كما أشرت إلى ذلك سابقًا أن عصر الهيمنة الغربية سوف يأتى إلى نهايته. وأن "صدام الحضارات" هو التهديد الخطير للسلام فى العالم، ونظام دولى مؤسس على الحضارات هو الضمان الأكيد ضد الحرب[٢].

إذا تأملنا أطروحة "صدام الحضارات" نجد أنها فى حقيقتها ليست صدامًا بين الحضارة الغربية والإسلامية فقط، ولكنها أيضًا صدام فى الدائرة الغربية نفسها بين أوروبا والولايات المتحدة حول المنطقة العربية والإسلامية، فالولايات المتحدة تهدف إلى السيطرة على العالم وخاصة المنطقة العربية والإسلامية التى ترغب فى السيطرة على ثرواتها ومستورداتها العسكرية والاقتصادية ولتحقيق أهدافها تستند إلى التاريخ بقصد تشويهه، وتوظف سلبيات الماضى مـــن فتح إسلامى إلى قلب أوروبا

(١) نفس المصدر السابق، ص٥٠٤.

(٢) نفس االمصدر السابق، ص٥٣٣.

وحروب صليبية ضد العرب، وأتفق مع الرأى[1] الذى يذهب إلى فكرة أن صراع الحضارات عبارة عن فكرة تعبوية ذات رائحة عنصرية لا تستند إلى أى حقائق علمية أو مبررات أخلاقية، هدفها فقط تبرير الصدامات العنيفة التى يشهدها العالم نتيجة لرفض أناس كثيرين لمنطق "الهيمنة والابتلاع".

ثانيًا: الإسلام والغرب وحوار الحضارات:

وإذا كانت نظرية صدام الحضارات تركز على أن الصراع هو الذى يحكم العلاقات بين الحضارات، فإن نظرية حوار الحضارات على العكس تشجع الحوار بين الحضارات لأهميته وضرورته الملحة فى العصر الحالى، ومن المفكرين الغربيين الذين يؤيدون نظرية الحوار المفكر الفرنسى غارودى.

يؤكد غارودى على وجود علاقة ديالكتيكية بين الإمبريالية ورفض الحوار الثقافى. فالحوار بين الحضارات لا وجود له لأن الإمبريالية موجودة. والإمبريالية موجودة لأن الحوار بين الحضارات لا وجود له، فعندما تكون الإمبريالية حقيقة واقعة يكون الحوار بين الحضارات وهمًا، والإمبريالية تكون حقيقة واقعة لأن الحوار بين الحضارات يبقى وهمًا، والنتيجة لا وجود لحوار الحضارات مع وجود الإمبريالية.

وإذا كان اشبنجلر فى كتابه "انحلال الغرب" يدعو إلى ثورة فى التاريخ تصحح وهم المؤرخين الأوروبيين الذين يتصورون حضارتهم قطبًا ثابتًا للحضارات ينبغى أن تقاس على أساسه الحضارات الأخرى، ويعتبر

---

(١) د. سليمان العسكرى، ماذا يتبقى من نظرية صراع الحضارات؟ مجلة العربى، العدد ٥١٨/يناير ٢٠٠٢م، ص٨.

أن الحضارات الغربية كغيرها من الحضارات الأخرى لا تتمتع بأى امتياز خاص، فإن غارودى أيضًا يرى أن الغرب يطمح بأن ينصب نفسه قاضيًا على جميع الحضارات الأخرى استنادًا إلى أن حضارته هى الأفضل، ويستخدم هذا المبرر للحكم على الشعوب والحضارات والعلوم الأخرى ونعتها بأوصاف مثل: "نامية" و"متخلفة" وفقًا لتشابهها أو اختلافها مع الحضارة الغربية[١].

فالغرب عارض طارئ[٢] وثقافته شوهاء، فليس الغرب إلا طورًا من أطوار الحضارة ليس أحسنها ولا أفضلها ولا أكثرها إنسانية وتقدمية.

وعلى عكس فوكوياما وهانتيجتون يستبعد غارودى التهمة الموجهة للإسلام على أنه دين انتشر بالسيف وأنه يدعو إلى الحرب. وفى نظره أن الغرب يجهل ماهية الإسلام وأنه لم يدرس الإسلام ولا الشرق عمومًا كما هو، ولكن دراسته للإسلام كانت وفقًا وتبعًا للصراعات الأيديولوجية الخاصة بالغرب[٣]، فالإسلام فى نظره دين سلام، وليس ثمة ما يبرر الحرب فى القرآن إلا لرد عدوان أو انتهاك حرمة وهما فعلان محرمان صراحة عند المسلمين أنفسهم. فالإسلام لا ينتهج طريق الحرب ولا يدعو إليه إلا عندما تكون العقيدة مهددة لا من أجل نشر العقيدة بالسلاح[٤].

وإذا كان كلا من فوكوياما وهانتيجتون يؤكدان على عالمية الحضارة الغربية، فإن غارودى، يؤكـــد على أن الحضارة الغربية ليست حضـــارة

---

(١) روجيه غارودى، وعود الإسلام، ترجمة د. ذوقان قرقوط، (الوطن العربى- بيروت، الطبعة الأولى ١٩٨٤) ص٩.

(٢) نفس المصدر السابق، ص٨٤.

(٣) نفس المصدر السابق، ص١٩٠.

(٤) نفس المصدر السابق، ص٤٤.

عالمية[1] ومشروع حوار الحضارات هو القادر على إحداث الانقلاب الكبير فى منظور الثقافة العالمية لا من أجل إنكار أو نفى الثقافة الغربية، بل من أجل إسباغ الصفة النسبية عليها، ومن أجل البرهان على أن الحضارة الغربية وحدها لا تستطيع التوصل إلى حل كل المشكـــلات التى لا تزال تطرحها بل لا بد من الحوار مع الحضارات المختلفة من أجل بناء علاقات جديدة بين البشر والطبيعة وهى علاقات تباين علاقات القنية والغزو. إذًا الحوار والدعوة إلى عقد هذا الحوار بين حضارات الشرق والغرب لوضع حد لمنولوج الغرب الاستعمارى هو الحل لكل المشكلات.

ماهية الحوار:

استنادًا إلى وهم الحضارة العالمية أباح الغرب لنفسه الحق فى تحديد مواقع الـــ "آخرين" والحكم عليهم وفقًا لتاريخه الخاص وغاياته وأهدافه وقيمه، إذًا الركيزة الأساسية التى يستند عليها الحوار هو الاعتراف بالآخر إلى جانب الأنا، وبتعبير غارودى "الكفاح من أجل عزل أنانا الصغيرة المتبجحة وإبراز واقع "الأنا" الحقيقى الذى هو بالدرجة الأولى علاقة بالآخر وعلاقة بالكل[2].

شروط الحوار:

لكى يكون الحوار ناجحًا اشترط غارودى له شروط عدة:

١- التخلص من الأفكار السابقة التى ترى أفضلية للحضارة الغربية على غيرها من الحضارات، واعتبار أن الغرب هو الذى يقرر والآخر عليه

---

(١) روجيه غارودى، في سبيل حوارات الحضارات، ترجمة د. عادل العوان (منشورات عويدات، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٧٨، ص١٨٩). (٢) نفس المصدر السابق، ص٢٦١.

التنفيذ[١] وأن تحتل الحضارات غير العربية فى الدراسات مكانة متساوية فى الأهمية على الأقل لمكانة الثقافة الغربية.

٢- الاعتراف بأن كل حضارة لها هويتها الخاصة بها[٢]، وعليه فإن التمسك بالثقافة الخاصة شرط ضرورى للحوار، قبل أن يبدأ المرء فى حوار الآخر.

٣- إلى جانب تمسك كل حضارة بثقافتها الخاصة وهويتها الخاصة، يجب أيضًا الاعتراف بالآخر، بمعنى تقبل ما يكون عليه الآخرون[٣].

٤- الاعتراف بنسبية الحقائق، بمعنى أن الآخر قد يعيننا على وعى حدود رؤيتنا للعالم[٤].

٥- الحوار يتطلب أن يكون كل طرف مقتنعًا بأن ثمة شيئًا يتعلمه من الطرف الآخر[٥].

من خلال هذا العرض نلاحظ دعوة غارودى إلى الحوار وتأكيده على أن الحوار بين الحضارات قد أصبح ضرورة ملحة ولا يمكن الاعتراض عليه. وبذلك فهو ينتقد الثقافة الغربية التى ترغب فى السيطرة والهيمنة على العالم وهى بالتالى دعوة للإمبريالية لكى تتراجع وتتزحزح شيئًا فشيئًا.

ثالثًا: وجهة نظر العرب فى إشكالية الإسلام والغرب:

أمام هذه الأزمات الحضارية ماذا يجب على العرب أن يفعلوا؟ هل يدعون إلى الصدام أم إلى الحوار؟

---

(١) نفس المصدر السابق، ص٢٣٩.
(٢) نفس المصدر السابق، نفس الصفحة.
(٣) نفس المصدر السابق، ص١٢٦.
(٤) نفس المصدر السابق، ص١٢٦.
(٥) نفس المصدر السابق، ص١٢٥.

إننا بحاجة فى الوقت الحاضر إلى مناقشة جادة لمقولة هانتيجتون ونتساءل هل يعتقد المسلمون حقا أن تلك المقولة تدعو إلى الحرب بين الإسلام والغرب؟ وإذا كان الأمر كذلك فإن مستقبل العلاقة بين الإسلام والغرب ستكون قاتمة جدا، لأنه إذا كان هناك صدام حقيقى بين الحضارات أو الأديان فإنه لن يكون هناك حل للمشكلة ولا تفاهم متبادل. وفى هذه الحالة علينا أن نعد العدة إلى هذه الحرب، أما إذا فهمنا هذه المقولة على أنها صدام بين مصالح وأن العقبة الأساسية أمام الشعوب باتجاه الحوار والتفاعل الفكرى والثقافى هى قوى الاستكبار وفى مقدمتها الولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل المتحكمة بمقدرات أكثر شعوب العالم ورغبتها فى السيطرة والسيادة وإعدادها العدة لضمان بقاء حضارتهم وللدفاع عنها باستعمال كل الإمكانيات التى يرونها مساعدة لتحقيق هذه الأهداف بما فى ذلك اللجوء إلى الحرب، ففى هذه الحالة ينبغى أن يكون الرد لا كما يعتقد البعض بحرب مماثلة، ولكن بالعكس البحث عن وسيلة لتفكيك نظام الهيمنة الدولية ومحاصرة الانفرادية الأمريكية بتحالف دولى واسع من أجل الديمقراطية والسلام والعدل والمثل الإنسانية التى تعنى رفض قتل الأبرياء فى أى مكان فى العالم.

وفى رأيى قبل أن نبدأ فى حوار مع الغرب، ينبغى أن ندخل فى حوار مع أنفسنا ونحدد موقعنا نحن تجاه الغرب.

هل نأخذ بكل ما جاء به الغرب؟ أم نعرض عنه؟ أم نقف موقفًا محايدًا منه؟ إزاء الواقع المرير الذى عاشه العالم العربى والإسلامى مع الغرب الاستعمارى ظهرت ثلاثة مواقف تجاه الغرب:

الموقف الأول: يرى أنه ينبغى أن نأخذ بكل ما جاءت به الحضارة الغربية لأنها مصدر كل تقدم، وأن نترك التراث لأنه عائق فى سبيل وصولنا إلى مستوى الحضارة الغربية ويدفع بنا إلى التخلف والتأخر.

الموقف الثانى: يرى أن الأصالة هى أن نأخذ بكل ما أتى به التراث لأنه قد حوى كل شئ، وبالدراسة والبحث نستطيع العثور على أسس الحضارة.

أما الموقف الثالث: فهو يحاول التوفيق بين الاثنين الأصالة والمعاصرة.

وبناء على هذه المواقف المختلفة أتناول آراء بعض من مفكرينا العـــرب المعاصريـــن الذين بحثـــوا هذا الموضوع وهم د. حسن حنفى، ود. محمد عابد الجابرى، ود. برهان غليون ثم د. محمد محفوظ.

يرى د. حسن حنفى فى كتابه "فكرنا المعاصر" أن الأصالة والمعاصرة مرتبطتان لأنهما تعبران عن الصلة بين الفكر والواقع. فالأصالة هى الفكر على مستوى التاريخ، والمعاصرة إحساس بالواقع. ومن ثم تصبح الأصالة والمعاصرة منطق الالتزام بقضايا العصر مع أكبر ضمان ممكن من حيث إمكانيات الحل والتطبيق.

ثم بعد ذلك، يحدد معنى كل من الأصالة والمعاصرة، فيرى أن الأصالة ليست الإبقاء على القيم بأى ثمن حتى ولو كان على حساب المعاصرة، بمعنى الاعتزاز بالأصالة بدافع من التشبث بالماضى والتعصب له، وكأن الأولوية للفكر على حساب الواقع، فالأصالة ليست غاية فى ذاتها، بل وسيلة لإدراك الواقع فى كل أبعاده.

إذًا الأصالـــة فى رأى د. حسن حنفى هى: "الاتحاد بالواقع نفسه وإعادة تفسير للقديم كله، لخدمة الواقع، ومن ثم تصبح الأصالة مرادفة للمعاصرة ولكنها معاصرة أعمق جذورًا فى التاريخ وأكثر تحقيقًا لوحدة الخاصية الوطنية"(١).

أما المعاصرة فهى فى رأيه إعطاء الأولوية للواقع على الفكر حتى يصبح الفكر هو رؤية هذا الواقع نفسه، فإذا كانت الأصالة هى تحويل الفكر إلى واقع، تكون المعاصرة هى تحويل الواقع إلى فكر.

أمـــا الربط بين الأصالـــة والمعاصرة فى رأيه فلا تعنى المساومة على أحدهما أو كليهما بل فى رأيه أن منطق الأصالة والمعاصرة يكتفى بفحص القديم وإخضاعه لمناهـــج التحليل العلميـــة فهو يعلم حـــدوده التى لا تتعدى النقد والتقييم.

وفى نطاق تحليله للثقافة المعاصرة يرى أننا نأخذ من التراث الغربى مواقف ثلاثة: موقف الانبهار بكل ما يأتى من الغرب، وموقف المعارضة التام، وموقف المحايدة الذى يقوم على الترويج للثقافة الغربية بدعوى التعريف بها دون أخذ أى موقف منها، وبعد تحليله لهذه المواقف الثلاثة يصل إلى نتيجة مؤداها أن الفكر الأوروبى فكر حضارى أى نشأ وتطور وفقًا لظروف خاصة وبيئة معينة، وليس كل ما يصدر فيه ينقل بلا حساب أو بلا داعى، وفى رأيه أنه كما نشأ الاستشراق، أى دراسة العالم الثالث بشعور أوربى، يمكن أن ينشأ ما يسمى بالاستغراب، أى دراسة الشعور الأوربى بشعور من العالم الثالث، وفى رأيه أنه على هـــذا النحـــو تتحول

---

(١) د. حسن حنفى، فى فكرنا المعاصر، ط٢، (دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٣) ص٥١.

ثقافتنا المعاصرة من التقليد إلى الأصالة.

الدراســـة الثانية لهذا الموضوع فهى دراسة د. الجابرى[1] ، يرى د. الجابرى أن العرب وجدوا أنفسهم أمام ثلاثة أنواع من الواقع.. واقع الحضارة الغربية التى داهمتهم فى عقر ديارهم شبه غفاة، حضارة ميزتها العقلانية فى التفكير والتنظيم فى العمل.. وواقع جامد، واقعهم هم، يكبل انطلاقتهم ويكرس الاستسلام والتواكل... ثم واقع تراثى عربى إسلامى، يذكرهم بذلك الماضى المجيد الذى عاشه أجدادهم فى القرون الوسطى والذى يغريهم بالرجوع إليه والتماس الحلول فيه، بفعل هذه المعطيات الثلاث: التحدى الحضارى الغربى، وفراغ الحاضر وانحطاطه وجموده، وإغراء الماضى وتمجيده، انقسم الوعى العربى فى رأى د. الجابرى إلى نوعين من الوعى[2]، الوعى المؤسس على "الاغتراب" الرافض للتراث، نتيجة الاستسلاب الثقافى الذى رسخه الغرب المتقدم والمستقر فى مجتمعنا، والوعى المؤسس على "الاعتراب" الذى يقرأ فى التراث العربى الإسلامى كل إيجابيات الحضارة الغربية الحديثة.

كيف عالج د. الجابرى إشكالية "الأصالة والمعاصرة"؟

فى رأى د. الجابرى أننا نواجه الفكر الأوربى الحديث فى مثل الوضعية التى وجد فيها أجدادنا أمام الفكر اليونانى وثقافة الحضارات القديمة، وكما استطاعت الحضارة العربية أن تستوعب وتهضم ذلك الفكر وتلك الثقافة دون أن تفقد هويتها، نحن مطالبون اليوم بإعادة الكَرة من جديد

---

(١) د. محمد عابد الجابرى، من أجل رؤية تقدمية لبعض مشكلاتنا الفكرية والتربوية، ط٥ (دار النشر المغربية، الدار البيضاء، ١٩٨٥)، ص١١٥.

(٢) نفس المصدر السابق، ص٩٤.

أى ببناء حضارة جديدة، حضارة العرب فى المستقبل، نحن مطالبون بتأسيس تاريخ جديد فلا بد إذًا من رؤية جديدة لحاضرنا وماضينا تحت توجيه مستقبلنا المنشود.

وفى رأى د. الجابرى أن حل هذا الموضوع يكون بـــ "دمج التراث فى ثقافة العصر، وثقافة العصر فى التراث"[١] بمعنى أن التراث فى رأيه ينبغى أن يحقق على ضوء متطلبات العصر وظروفه أى عدم التقوقع والوقوف عنده، وحيث إن مجتمعنا فى رأيه مطالب بالتطور والتقدم، إذًا نحن مطالبون بخلق ثقافة جديدة.

وفى رأيه أن "غياب الآخر وحضور الأنا" شرط لنهضتنا[٢]، وغياب الآخر فى رأيه هو التحرر من الغرب والتراث معًا. والتحرر من الغرب معناه الدخول مع ثقافته فى حوار نقدى، والتعرف على أسس تقدمه والعمل على غرسها أو ما يماثلها داخل ثقافتنا وفكرنا، أمـــا التحرر من الـــذات ففى رأيه معناه امتلاكه وتحقيقه وتجاوزه وهذا يكون بإعادة بنائه، أما حضور الأنا العربى، معناه حضوره كذات لها تاريخ، ذات لها فرديتها وسيرورتها الخاصة.

وإذا كان د. حسن حنفى يرى أن ثقافتنا العربية كى تصل إلى مستوى المعاصرة عليها أن تحقق ما يسمى "بالاستغراب" أى دراسة الفكر الغربى من وجهة نظر الشرق. ود. الجابرى يرى أن الازدواجية فى الفكر العربى هى نتيجة من نتائج وضعية اجتماعية معينة، ولهذا يرى أن التخلص من هذه الازدواجية يكون بفـــهم التراث على ضـــوء متطلبات العصـــر، فإن

(١) نفس المصدر السابق، ص١١٤.

(٢) د. محمد عابد الجابرى، الخطاب العربى المعاصر، الطبعة الثالثة (دار الطليعة، بيروت، ١٩٨٨)، ص١٨٩.

د. برهان غليون[1] يرى أن هذه الازدواجية فى الثقافة العربية الحديثة ليست وضعًا يجب التخلص منه، بل هى فى رأيه محرك هذه الثقافة، ومصدر ديناميتها. وفكرة إبطال هذا الصراع بالحيلة أو بالقوة، ليست ساذجة فقط، ولكنها لا يمكن أن تقود إلا إلى تدمير الثقافة والعقل، أى إلى التدمير المتبادل[2]. ففى رأى د. برهان غليون أن الموقف الصحيح هو القبول بهذا التناقض بل تعميقه، وهذا يعنى أن نأخذ ما استطعنا عن الغرب ولا نؤخذ به ونحمى ما أمكننا من التراث ولا نحمى به، ومن هذا التناقض المثرى أو الإثراء المتناقض، سوف تنبع حلول حقيقية.

فتأويل التراث فى رأى د. برهان غليون لا يهدف فى الواقع إلا إلى تغطية تبنى الحلول الغربية الجاهزة دون جهد ودون إبداع، إنه مجرد محاولة لإضفاء الشرعية المحلية عليها، وبهذا المعنى فهى ليست حلا، بل هو بالأحرى هروب من المشكلة، فالتوفيق بين القيم والأفكار القديمة والحديثة لا يحل المشكلة بل يطمسها لأنه يلغى الشعور بضرورة الإبداع والتجديد.

النتيجة التى يصل إليها د. برهان غليون هى: "أن مصير النهضة ليس معلقًا بإحياء التراث لوحده، ولا باستيعاب الحضارة وحده. وإنما بالاحتفاظ بهذا التناقض الحى بينهما أى بهما معًا. بل إنه يعنى أن القدرة على الإبداع والابتكار والنهضة، مرتبطة بالسماح لهذا التناقض أن يتعمق يستمر"[3].

---

(١) د. برهان غليون، اغتيال العقل (دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٧)، ص٣٤٩.

(٢) نفس المصدر السابق، ص٤٩.

(٣) نفس المصدر السابق، نفس الصفحة.

أما د. محمد محفوظ فيرى أن طريق العصرية ليس محاكاة الغرب، إذ إن محاكاته تؤدى إلى الاستلاب الحضارى الذى يحولنا إلى أمة ميتة، جامدة، مقلدة، كما أن الأصالة فى رأيه ليست رصيدا تاريخيا فحسب، وإنما هى الإرادة والقدرة الذاتية على الإبداع، وهى لا تعنى تقليد الماضى بل هى تعبير عن الحاجة إلى التعريف بالذات، وتحديد العلاقة مع الآخر الحضارى[١].

وبناء على ذلك ربط د. محفوظ بين الأصالة والمعاصرة، فشرط المعاصرة هو التأصيل، فلكى تكون عصريا ناجحا[٢] لا بد أن تكون أصيلا ومحافظا على مقدساتك، وذاتك الحضارية. وعليه فهو يرى أن الانفتاح والتفاعل مع الآخر، لا يعنى إلغاء الخصائص الذاتية والحضارية، إذا الأصالة شرط للمعاصرة بمعنى ينبغى أن يسبق عملية الانفتاح والتفاعل تكريس للذات الحضارية فى الواقع المجتمعى وفى كل الحقول والجوانب.

وفى رأى د. محفوظ نحن بحاجة إلى نوعين[٣] من الحوار: الحوار مع الذات أولاً لإبراز مواطن القوة وغربلة ذواتنا من الكثير من آثار عصور التخلف والانحطاط بمعنى أننا بحاجة إلى حوار مع ذاتنا ومصارحتها لتنقيتها من الشوائب والجراثيم التى تعيق الحركة والعمل، وعند ذلك نستطيع أن نقيم الحوار الثانى وهو الحوار مع الآخر والدخول معه فى عملية تفاعل إيجابية، غير خاضعة لمصالح سياسية أو ضغوطات اقتصادية، وإنما حوار من أجل المعرفة المتبادلة والفهم المشترك.

---

(١) د. محمد محفوظ، الإسلام، الغرب وحوار المستقبل، ط١، (المركز الثقافى، الدار البيضاء، ١٩٨٨)، ص١٩.

(٢) نفس المصدر السابق، ص٧٦.

(٣) نفس المصدر السابق، ص٩١.

ولهذا فإن د. محفوظ يأخذ بالاتجاه الثالث التوفيقى بين الأصالة والمعاصرة، ففى رأيه أن أغلب الحركات العلمانية التى تدعو إلى الأخذ والاقتباس من الغرب هى حركات تنتقل بنا من حالة انحطاط إلى أخرى، كما أن نظرية القطبية وغلق الأبواب، غير صحيحة لأن الغرب ليس استعمارًا وسيطرة ونفوذًا فقط، وإنما إضافة إلى ذلك هو تكنولوجيا وتقنية متقدمة وثورة معلوماتية واتصالية، لذلك لا يمكن لنا أن نستغنى عن الحضارة الحديثة.

وفى رأيى أن حل هذه الإشكالية "الأصالة والمعاصرة" ليست مرتبطة بالوصول إلى أى مدى نتفق مع الغرب أم نختلف معه، فالحفاظ على الهوية أمر مهم، كما أن التواصل مع الآخر أمر لا يقل أهمية أيضًا، ولكن الإشكالية تكمن فى مسألة الإفراط، فالأولى تدعو بشكل مغال إلى الانعزال وعدم التعامل مع الآخر، فى حين أن الثانية حين تطالب بمحاكاة وتبعية الآخر تبتعد عن هويتها وثقافتها وبتحكيم المنطق نرى أن الانعزال والتقوقع مثلها مثل التبعية والمحاكاة، فهما فى نهاية المطاف ضعف وفقدان ثقة.

الحل فى رأيى يكمن فى محاولة الوصول إلى درجة من الوعى المبنى على العقل الذى يستطيع تجاوز هذه الإشكالية. الأصالة تكمن فى الدق مع أنفسنا للوصول إلى الحلول الملائمة لمشاكلنا. فالحلول لمشاكلنا المعاصرة لا توجد جاهزة فى التراث ولا يمكن استيرادها من الغرب. مشكلتنا تكمن فى جانبين:

الجانب الأول: الغزو الأجنبى بكل أشكاله الفكرية والسياسية والاقتصادية، **والجانب الثانى:** يكمن فى التبعية والتخلى عن ثقافتنا العربية الإسلامية وتحريفها.

وفى رأيى أن أى أمة لا تستطيع أن تخرج من تأخرها وتخلفها واستدراك ما فاتها بالتخلى عن تراثها وثقافتها، كما يرى أصحاب الاتجاه الأول. العكس هو الصحيح الخروج من هذا التخلف لا يقوم إلا على قاعدة إحياء تراثها وثقافتها وتطهيرها من الشوائب التى طرأت عليها، ولكن لا يعنى هذا أن نأخذ بالتقليد الأعمى لكل ما جاء به التراث. إننا محتاجون إلى تصفية ما علق بالتراث لكى نستطيع النهوض ونحقق النمو ونحسن وضع أمتنا وندخل بالتاريخ من جديد. فالأولى بالعرب والمسلمين تصحيح واقعهم السياسى والاجتماعى وبناء تكاملهم الاقتصادى وتعزيز هويتهم الثقافية العربية والالتزام بالمبادئ والقيم الحضارية الإسلامية، إذاً المطلوب تصحيح الذات أولاً قبل الحديث عن كيفية إصلاح الصورة العربية الإسلامية فى الغرب، بعدها نسعى إلى الحوار والتفاعل مع ثقافة الآخر.

ونسترشد فى ذلك بما قاله الكندى "ينبغى لنا أن لا نستحى من استحسان الحق واقتناء الحق من أين أتى، وإن أتى من الأجناس القاصية عنا والأمم المباينة لنا، فإنه لا شىء أولى بطالب الحق من الحق، وليس ينبغى بخس الحق، ولا تصغير بقائله ولا بالآتى به"، ولا أحد بخس، بل كل يشرفه الحق [1].

---

(١) الكندى، فى الفلسفة الأولى، ضمن رسائل الكندى الفلسفية، تحقيق محمد عبد الهادى أبو ريدة (دار الفكر العربى، القاهرة، ١٩٥٠)، ص١٠٢.

رابعًا: مستقبل العلاقة بين الإسلام والغرب:

إننا نرى أن الحوار هو الخيار الذى ينبغى أن نحث ونسعى إليه بدل خيار الصدام الذى يعنى الدمار، وقد يكلف الإنسانية الكثير من المآسى والكوارث. فالحوار هو الطريق السليم للتعارف بين البشر خاصة أن الإسلام فيه دعوة إلى الحوار بين العرب والغرب خاصة بين شمال وجنوب البحر المتوسط، لأن إمكانية الحوار موجودة لكى يستخدم من أجل السلام، ولكن الحوار المطلوب لا يمكن أن يتم بدون عملية النهضة إذ لا معنى للحوار مع الغرب بدون عملية نهوض، لأنه سيعنى التبعية والاحتواء والانسلاخ والاستلاب الحضارى. كما أنه لا معنى لعملية النهضة بدون الحوار والانفتاح على الآخر الحضارى، ومعرفته وتحديد مسيرته وبيان نقاط القوة والضعف فى جسده.

وعليه ميل إلى الأخذ بخيار الحوار على أن تتوفر فيه شروط عدة وهى:

١- التمسك بالهوية الثقافية يعتبر شرطا ضروريا للحوار بمعنى قبل أن نبدأ الحوار مع الآخر علينا أن نُكون لنا ثقافتنا الخاصة.

٢- ينبغى أن يهدف الحوار إلى الاعتراف بالآخر، فالحوار المطلوب هو الذى لا يعترف بنفى وإقصاء الثقافات الأخرى بل التأكيد على أن مساهمات جميع الثقافات ضرورية فى الحركة الحضارية الإنسانية.

٣- التحرر من السيطرة والهيمنة والتبعية شرط ضرورى للحوار.

٤-التلويح بفرض نمط واحد من الديقراطية وهو الديمقراطية الغربية واعتباره النموذج الوحيد الصحيح الذى ينبغى فرضه على الآخرين

بالقوة يتنافى مع مبادئ الديمقراطية نفسها، ولحوار ناجح ينبغى الاعتراف بأن الآخر يستطيع تقرير مصيره بنفسه وفقًا لعقيدته ودينه وثقافته.

٥- أن يكون كل طرف مقتنعًا بأنه هناك شيء يتعلمه من الطرف الآخر، فالحوار لا يعترف بالعلاقة بين الأعلى والأدنى بل بعلاقة التكافؤ والتفاعل.

٦- ينبغى أن يكون هناك صدق فى الحوار بمعنى أن الحوار المطلوب ينبغى أن يقوم على الثقة المتبادلة بين الطرفين.

٧-الحوار ينبغى أن يقوم على معرفة ثقافة الآخر والتخلص من وجهة النظر السابقة وهى الحكم على الآخر قبل معرفة تاريخه ودينه وثقافته كما فعل هانتيجتون وأمثاله.

٨- لبناء حوار ناجح مع أوروبا بالذات يفترض الأمر أولاً أن تتحرر أوروبا من هيمنة الولايات المتحدة الأمريكية حتى نستطيع إقامة حوار معها.

٩- ينبغى الاعتراف بأن الحوار الدينى ركن أساسى للحوار الثقافى والحضارى.